فصول ملخصة في الفلسفة الألمانية

٣٠ – تطور الحركة الفلسفية في ألمانيا

الناحية الايجابية من مذهب نيتشه

السوبرمان

أو الانسان الأعلى

للأستاذ خليل هنداوى

لنفترض أن هذه القوى يتفاعل بعضها ببعض تبعاً لقانون المصادفة والتدابير المتعاقبة ، وأن الترتيب اللاحق مؤثر في الترتيب السابق ، فما عسى يقوم في أزلية الزمان ؟ أرانا إذذاك مضطرين إلى القول بأن هـذه القوى لم تبلغ بعد نقطة التوازن ولن تبلغها أبداً ، إذ لو كان هـذا الترتيب في استطاعته أن يظهر يوما ما ، لاستطاع إذاً أن يظهر لتطاول الزمن الغابر . والعالم – عند ذلك – يصبح جامداً ساكناً لا يتحرك ، لأن من المحال أن تضل هـذه القوى عن « نقطة التوازن والاستواء » بعد أن أدركتها ووصلت اليها . فنحن إذاً أمام القول بأن شحنة من القوى الثابتة المعينة تولد – في هـذه الآماد – تدابير لا تنتهي وحالات لا تتناهى . وبما أن الزمان لا نهاية له ، وبما أن هذه الشحنة من القوى هي معينة محدودة ، فسوف تأتي لحظة — مهما كانت هذه القوى عظيمة ومهما كانت آثارها الناشئة عنها كثيرة — نرى فيها هذه اللعبة الطبيعية غير العاقلة تولد « تدبيراً » أو تهتدي إلى حالة تستقر عندها وتقف عليها

ولـكن هذه الحالة أو هذا الانتقال سيجر وراءه سـ تامة من الحالات المتسببة عنه ، من حيث أن الحركة العالية ذات الأشياء وتمشي باستمرار على دائرة واسعة . كل حياة هي جزء من هذا الدور الكلي . وكل فرد قد عاش الحياة ذ مرات لا تحصى وسيعيشها إلى الأبد . كل الحالات التي ء للوجود أن يبلغها قد بلغها في الماضي مرات متعددة . قد مرة ، ومرات عديدة سيكون وسيعود . وكل القوى السا متوزعة اليوم توزعها بالأمس

أيها الانسان ! إن الحياة كلها كرملة ترش دائماً وتجمع دا وكل خليقة من هذه الخلائق لا تنفصـل عن الأخرى إلا بـ تلك اللحظة الطويلة الضرورية لها حتى تعود تلك الضرورا التي كانت سبب ولادتها ، فتعود إلى الظهور . والولادة حالة مـ في « الدور العالمي » وعند ذلك ستجد كل شقاء وكل غبطة وكل صديق وكل عدو ، وكل أمل وكل ضلال ، وكل غر وكل شعاعة من الشمس ، وكل نظام الأشياء ، وهذا الد الذي انت فيه مثله مثل الحبة سينبثق من جديد

في كل دور من أدوار الوجود الانساني ، لكل إنسان – على الأغلب — ساعة تظهر فيها الفكرة القوية القائلة « بالرجـ الدائمة » لسائر الأشياء . وهذه الساعة التي تبلغها الانسانية هي ساعة « الهاجرة »

وما إن بدا لنيتشه هذا المذهب حتى سرى في روحه وغمر فـكره ، وغلب على قلبه ؛ وقد عزم على أن يغامر بعشر أعوام من عمره ، يدرس التاريخ الطبيعي لـكي يستطيع أن يبني مذهبه هذا على قواعد علمية ثابتة ، ولـكنه لاذ بالصمت وأدرك خيبته في زعمه هذا . ولـكن فكرة الرجعة الدائمـة ظلت تتجاذب فـكره ، وظل يدور حولها . وهذه الفـكرة كانت احدى هبات « زرادشت » الـكبرى إلى رجاله

وقد وضح جلياً تأثير هذه الفكرة التي غشيت نيتشه يوم أصبح يؤمن بهذه الرجعة الدائمة . ولن نستطيع أن نتخيل حلا لمسألة الوجود أظلم وأبهم من هذا الحل ، فالوجود لا يعني شيئاً ، إنه وليد مقادير عمياء ، ينتج من وراء مصادفاته الخالية من الشعور قوى يمتزج بعضها ببعض ، فيخلق بعض النماذج على

إني بلغتُ إلى الشباب مضيّعا ... من حيث لا أدري جمالَ هنائي
في كل يومٍ كان يهلك بعضُ ما ... زخرتْ به نفسي من الآراء
فإذا التفتُّ إلى الوراء رأيتني ... أشلاء ضمّتها الليالي الماضيهْ
ووجدتُ حولي مايماثل غربةً ... تمشي بلاقعها الأماني الذاويهْ
والحق أني قد غُبنتُ ولم أفزْ ... إلاّ بساعات من الآلام
ما خبرتني إلاّ شعور طهارةٍ ... خنقتْه في صدري يدُ الأيام

(عاصمة الأرجنتين) إلياس قنصل

سب المصادفات . أما الحركة الشاملة للوجود فهي لا تفقد جزءاً
ه ولا قسما . وإنما هي تدور حول نفسها بدون انقطاع في نفس
ائرة ، وهذه الحياة التي نحياها سنكررها إلى مالا نهاية ، دون
يكون هنالك رجاء في التغيير . وكل لحظة مشحونة بالكآبة
لشقاء والسأم سنحياها مرات لا تحصى . فهل في الامكان أن
تخيل ما يصنع هـذا الافتراض في جماعات المنحطين والمرضى
المتشائمين ، وفي كل من ترجح كفة شقائهم على كفة فرحهم ؟
ن عند أغلب الناس — كما يبدو — فكرة تشبه فكرة العودة
دائمة ؛ تظل وإن لم تكن مبنية على مبدأ معين — غير مؤذية
لا ضارة ، لأنها تبقى فكرة مجردة خارجة عن الادراك ، لأن
قيلتنا غير قادرة على اخراج هذه الفكرة إلى حيز الحقيقة ،
لأن المعارف التي يتلقاها عقلنا لا تعين إلا قليلا من قوتنا الحاسة .
لكن نيتشه هو الذي يهب الحياة اتعاليمه ، وهو يتفلسف
كل وجوده

وقد يشاهد أن الرجعة الدائمة أخذت تظهر في بعض
للحظات ككابوس شيطاني يملأ قلبك رعباً ويقف دقات قلبك ،
وقسوته على المنحطين والأشقياء بدأت الآن ترتدي غير رداء ،
وقد وضح ما يريد في صيحته هذه « ليموتوا سريعاً . ليقتلوا
أنفسهم ، أو ليقتلوا ، هؤلاء المنحطون . . . . ! ! من قبل أن
يتمكنوا من قياس أعماق هاوية الآلام التي غرقوا فيها ، وقبل
أن يفقهوا معنى القدر الوحشي الذي يقضي عليهم بأن يجرجروا
صلبانهم بدون أمل في نجاة ، وإذ ذاك تفهم إذا كانت الانسانية
في استطاعتها أن تتحمل هذا المذهب دون أن تزل سريعاً في هاوية
اليأس والخوف ، أو أن تعتبر فكرة العودة الدائمة كابتلاء يهوى
به من لا تصلح حيويتهم

لابد من قوة نفسية خارقة لاحتمال فكرة العودة الدائمة
وهذا هو صاحب هذه القوة النفسية يستطيع أن يقول « إذا لم
يكن للحياة معنى بذاتها فأنا أعطيها معنى . إنما أنا قطعة من الطبيعة
تريد أن تكون دائماً جديدة ، تسمى بدون سأم ولا تنصب إلى
ما لا نهاية في الحلقة ذاتها . إنني سأرتفع وأصعد حتى يتسنى لي أن
أتأمل كفتان روعة الحياة الخصبة التي لا تُفهم . وسأهتز طرباً
إلى لعبة هـذه القوى التي أنتجت وحصلت كثيراً من الآلام

اللطيفة الرائعة . والتي ولدت الانسان وستلد السوبرمان .
سأتمنى بكل قلبي وإيماني من القوة العمياء أن تبدع شيئاً لامعاً
ساطعاً يسمو على الانسان . وسأحيا يراودني هذا الأمل ،
وسأجعل وجودي كله وعاء لهذه الفكرة . أريد أن الدائرة التي
تتحرك فيها الحياة تحور إكليلا باهراً زاهراً . سأقضي حياتي
فرحاً مرحاً ، راجياً أن يؤول دوري الذي أمثله إلى نتيجة
حسنة . وإذا خسرتُ — في هذا الدور — فلي رجاء كبير فيمن
يليني ويأتي بعدي . وهكذا لا يتلاشى من الوجود ضياء الحياة
ولا يكفهر . وهكذا الانسان المأخوذ بهذه الفكرة التي تزيده
نشوة ، يصبح في حالة يبصر فيها هزائمه وانكساراته كفدية
يسيرة لأفراحه وانتصاراته . يجدها كالنخس الذي يدفعه دائماً
إلى التعالي والتسامي ، إلى تفوقه على نفسه . وهكذا إذا رجع
إلى محاسبة نفسه يرى أن مقدار سروره كان أرجح من مقدار
ألمه وإذ ذاك يرضى بكل حمية وشوق فكرة الحياة الخالدة ، وفكرة
القبول بالحياة التي يكررها إلى الأبد

ولهذه النتيجة تسامى أولئك الرجال السامون الذين جمعهم
زرادشت في مغارته . فحين عرض عليهم تعاليمه الجديدة وفضائله
الجديدة ، وفتح عيونهم على جمال الحياة وروعة الحياة ، وحين
شفاهم من تشاؤمهم ورفع نفوسهم التي أوشكت أن تنحني تحت
أثقال الكآبة والسآمة ، جمعهم تحت جنح الظلام أمام المغارة
تحت قبة السماء

« جلسوا صامتين متهيبين . كلهم في سن الكهولة ولكن
قلوبهم تفيض قوة وحياة ، وكل منهم راض بنفسه عن نفسه
إذ غدا شيئاً صالحاً على الأرض ، وكان سكون الليل المفعم بالأسرار
يناجي قلوبهم . عند ذلك تمت العجوبة الأعاجيب . فالانسان
الأكثر قبحاً جلس ينفخ للمرة الأخيرة ، وحين دعاه داعي الكلام
قال : هذا السؤال الذي خرج من فمه طاهراً نقياً عميقاً ، وجميع
من كانوا حوله يصغون إليه أحسوا أن قلوبهم تهتز وتخفق طرباً

قال : « هأنا — لأول مرة — غدوت راضياً عن حياتي
جميلة الحياة على الأرض . ان يوماً واحداً ، ان عيداً واحداً
مع زرادشت علماني بأن أحب الأرض

سألت الموت : هل — هنالك — الحياة ؟

ألا لتأت مرة أخرى

أصحابى ! ألا تريدون أن تقولوا للموت مثلى : هل هنالك الحياة ؟ وفى سبيل محبة زرادشت لتكن مرة أخرى »

أفلح إذ ذاك زرادشت . فان الرجل الأكثر قبحاً ، والمسخ الذى قتل بعضه الآلـه ، الذى يتمثل فيه كل قبح وشر وسوء فى الانسانية قد تلقى الآن جمال الحياة ، وأدرك أن الألم هو فدية لا مندوحة منها للسعادة ، فقال : — بلى للوجود . وبينما كان النبى محاطاً بأتباعه ، يتذوق خمرة هذا النصر كان يتهادى ناقوس قديم ذو رنين حاد يعلن ببطء — مجىء نصف الليل — أن نصف الليل هو الساعة الواحدة التى يلتقى فيها النهار الذى انتهى بالنهار الذى سيبتدئ ، حيث يصافح الموت الحياة . نصف الليل هو ساعة الصمت الأكبر ، حيث النفس المتأملة تتفتح لها التأملات والأسرار الخفية . وبينما كان الناقوس القديم ، الرسول الذى يقرع لأفراح الانسانية وأوجاعها ، يعلن بدقاته الاثنتى عشرة عن تلك اللحظة التى يجوز فيها الموت الى الحياة ؛ نرى زرادشت يترك رجاله السامين يلمحون الفكرة الكبرى للرجعة الدائمة غارقة فى الألغاز كأنها مزمور رمزى معطر بالنشوة الدينية

١ : ألا احترس أيها الانسان !
٢ : ماذا يقول منتصف الليل العميق ؟
٣ : كنتُ أنام ، كنت أنام
٤ : هأنا قد تيقظت من حلم عميق
٥ : الوجود هو عميق
٦ : أعمق مما لم يفكر فيه النهار
٧ : وعميق شقاؤه
٨ : وفرحه أعمق من ألمه
٩ : الشقاء يقول لك : اهلك
١٠ : ولكن كل فرح يبتغى الخلود
١١ : يبتغى الخلود ، الخلود العميق

« انتهى البحث فى فلسفة نيتشه (*) »

« خليل شيراوى »

(*) يطبع قريبا كتاب « فلسفة نيتشه » وهو أول كتاب فى العربية يبحث فلسفة هـذا الفيلسوف الصارم ، وسيكون مذيلا ببعض آثار نيتشه الأدبية

وزارة المعارف العمومية

اعلان مسابقة

عن الحاجة إلى كتب دراسية

تعلن الوزارة عن حاجتها إلى كتاب فى الجغرافيا باللغة العربية لكل سنة من السنتين الأولى والثانية بمدارس التجارة المتوسطة وكتاب فى التاريخ باللغة العربية أيضاً للسنة الأولى بهذه المدارس ، على أن توضع هذه الكتب وفقاً للمنهج الجديد لهـذه المدارس ، وطبقاً للتوجيهات الموضوعة والموجودة منها صور بادارة المخازن تحت طلب المؤلفين — وأن تقدم للوزارة فى ميعاد غايتـه آخر مايو سنة ١٩٣٦

والكتب التى يقع عليها الاختيار ستشترى الوزارة حق تأليفها وفقاً للقرار الوزارى رقم ٣٧٥١ الذين يمكن طلبه من ادارة المخازن أو الاطلاع عليه بها

وكل كتاب تقرره الوزارة وتشترى حق تأليفه بعد أن تعدله لجنة الفحص تعديلا ذا شأن سيخصم من مبلغ شراء حق تأليفه عشرون فى المائة تمنحها الوزارة مكافأة للجنة على عملها — أما الكتاب الذى يتقرر بغير تعديل أو بتعديل غير ذى شأن فلا تمنح اللجنة مكافأة عنه